{حياة الشيخ أحمد بَمْبَ}

رضي الله تعالي عنه آمين

الجزء الأول

بقلم محمد المصطفى آن

أيده الله بنصره آمين

{المقدمة}

:بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي نبيه الكريم وأما بعد

فلا شك أن كتابة حياة العظماء باب عظيم للغاية كما لا شك أنه مع عظمته كان شيئا يعتني به عند جميع الأمم الراقية منها ومن غير الراقية ولا شك أيضا أن في كتابة حياة العظيم أشياء تهم أبناء شعبه وربما من غير شعبه أيضا وذلك أن العظيم مثل أعلي لرواد العظمة مهما كانت تلك الناحية التي كان فيها العظيم عظيما تخالف ناحية أخرى يَعظُم فيها أحد العظماء فلا تمنع أن يكون العظيم مثلا أعلي كما صرحتُ به أيضا سواء قد أنجب الشرفُ هذا العظيمَ كعمر بن الخطاب في تعميم العدل لجميع الرعية ومَهاتْمَا غَانْدِي في الشفقة علي الإنسانية البائسة وابن رشد صاحب المقدمات الممهدات في الفلسفة الاجتماعية والغزالي صاحب الإحياء في التربية الروحية، أو أنجبه الغرب كبَاسْتُورْ الفرنسي في الخدمات

الطبية التي أسداها إلي الإنسانية وإبرَاهَامْ لنكن رئيس الولايات المتحدة في خدمة الحرية ومحاربة الرق. وفي هذه النواحي المذكورة المتعددة أي ومن بينها وجدنا في ناحية التربية الروحية والخُلقية تَعظُم فيها شخصيةٌ فذَّة عديمةُ المثال في عصرها ألا وهي شخصية الشيخ أحمد بَمْبَ بن محمد بن محمد حبيب الله البكي خادم نبي المكي كما لقب به نفسه رضي الله عنه وأرضاه آمين. ثم إنني أحببت هذا الشيخ منذ رأيت بعيني رأسي تلك الأعمال الجليلة التي قام بها للديانة الإسلامية التي هي ديانة الإنسانية وقرأت عنه ما لقيه من الأحداث الهائلة التي تشيب لها النواصي دون أن يرجع قهقرى عن ما كان ينادي إليه من الإخلاص لله والوطن ومن توجيه أصحابه ومريديه إلي المثل الأعلى ودائما إلي المثل الأعلى.

كنت أحببته ورأيت له من هذه الأعمال ما حملني علي الكتابة عن حياة هذا الشيخ وحظي في الكتابة ضئيل وضعيف جدا كما أن حياته مليئة بجلائل الأعمال التي قلما يُوجد مثلها عند شخصية من تلك الشخصيات التي تُعد عظيمةً ثم أني لي القدرة علي الكتابة عن حياة هذا الشيخ الذي بصق علي وجه الاستعمار ولطمه بملء كفه من السخرية التي أبقى علي الزمن من الطود الشامخ.

لكن الحب كما قلت حملني علي الكتابة عنه وأن تشجيع أبناء أمتي علي الاعتناء بمعرفته أرغمني في هذه الكتابة أيضا فإليكم يا بني قومي أقدم هذا الكُتيِّب عن حياة الشيخ أحمد بَمْبَ الذي أخرج من وطنه ومن بين

.عشيرته إلي المنفى لأجل أنه يقول للناس اهتدوا فإن الله يحب المهتدين
المؤلف دكار /10/4/1361

{مولده ونشأته}

وُلد عام ألف ومائتين وسبعين وقيل سنة ألف ومائتين واثنتين وسبعين هجرية كما في كتاب {إرواء النديم} للعلامة/ محمد الأمين جُوبْ ذلك الكتاب الذي لُخِّصَ منه هذا الكتابُ و لم يزل في حجر أبويه حتى بلغ سني التعلم وحينئذ سلمه والده إلي خاله هو أيضا واسمه {تفسير بَكِّ دُمْبِ} ويظهر هنا أن الشيخ عريق في خدمة العلم من كلتا جهتي أبويه ثم توفي شيخه تفسير هذا ورجع الشيخ إلي والده وجد واجتهد حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب أي بتلاوة دون أن ينظر إلي المصحف ثم جوَّد علي يدي والده ولا يغيب عنه في هذه الفينة إلا أياما قلائل يزور فيها أخاه الكبير {محمد جاره} الذي كان عند بعض المصححين خارج قريتهم ثم يرجع إلي والده وهم ساكنون وقتئذ في {سَالُمْ} ثم سلمه أبوه إلي عمه {صَمْب تُكْلُور} ابن خالة والد الشيخ ليتلقي منه مبادئ العلم ومكث عنده مدة .حتى تمهَّر شيئا ما عاد إلي والده أيضا ولازمه حتى برع في الفنون

وفي أثناء هذه المدة كان يأتي للقاضي مَاجَخَتِي كَلَ ومَجَخَتِي هذا كان متربعا علي كرسي الرتبة الأستاذية في العلوم عند معاصريه سيما العربية وكان مشتهرا بجودة الشعر فوافى إليه الشيخ ليأخذ منه دقائق العربية وربما يأتيه الشيخ بأبيات قالها فينظر القاضي إلي عربيتها وإعرابها وعروضها ربما

يُكسر له أولا حتى فاته الشيخ فصار كل ما عرض علي القاضي شيئا من شعره قال له القاضي آت به أحفظه عنك أي الشأن الآن في حفظه لا في تصحيحه فهكذا حاله مع القاضي فإنه أتي إليه تلميذا فعاد شيخَه.

{عودته من عند القاضي إلي والده}

ثم لما صارت له يد طولي في العلوم علم والدُه العلامة ببراعته ونشاطه فولاه التدريس إلي أن انتقل هذا الوالد إلي جوار ربه في محرم سنة ألف وثلاثمائة من هجرة سيد الكونين صلي الله عليه وسلم ودفن في قرية من قرى كُكِّ يقال لها دِقْلِ فصلي علي جنازته الشيخ طَيِّبْ مُحمد دُمْب.

{لمحة}

كان والد الشيخ تقيا ورعا وعالما عمل بعلمه وكان محبوبا عند أمراء عصره وسلاطينه وكان يداريهم خوفا علي أتباعه وأعراضهم ولكن ابنه الذي يريد أن يتخصص بخدمة الرسول صلي الله تعالي عليه وسلم لم يقبل من مداراتهم وهذا ما عُلم في خديم المصطفى صلي الله عليه وسلم منذ هو يافع إلي أن صار بجوار ربه في كتاباته وفي مقالاته فلنقرأ هنا حكاية جرت بينه وبين الشيخ الآنف الذكر والذي صلي علي والده فإنه لما انتهت الصلاة علي جنازة الوالد قام الشيخ طيب خطيبا وواعظا ليثبت الناس ثم لما أنهى من وعظه قال أين الشيخ بَمْبَ؟ فلبى وقام وهو من طرف الجماعة فقال الخطيب ادن مني فدنا بعض الدنو من حيث يراه ويسمع هو منه ويرد الجواب بلا تكلف صياح وإنما وقف ثمة كراهة تغطية الرقاب ثم قال

له الخطيب: إني أطلب منك بعدُ أن تسير معي ومع جماعة منا نظراء الوالد إلي الأمير فنعزيه فيه تعزية تقر بها عينه لأنه كان خليله وحبيبه وشيخه ومشاوره وكذا وكذا ونكلمه فيك وننصبك عنده فيقيمك حيث كان أقام الوالد فلا ترى منه إلا خيرا وكرامة هذا هو الرأي عندي فما قلت أنت؟

{جواب الشيخ الخديم لكلام سَرِنْ طَيب السابق}

وقال الشيخ الخديم وأما ما قلت من التعزية والتوصية فحسن فجزيتم خيرا ووقيتم ضيرا وأما أمر الأمير فأنا لا أذهب إلي الأمراء ولا أرغب في دنياهم ولا أطلب الكرامة إلا من الله رب الأرباب فانكسرت الجماعة وهدرت صدورهم، أما الصلحاء فقالوا يا للعجب من هذه الكلمة القاصمة لظهور محبي الدنانير برزت من ابن لهم شاب وضع قدمه علي رقابهم واطلع. وأما العامة فقالوا يا للعجب من امتناعه عن هذا العز الحاضر والغنيمة الباردة وسفهوه ومن ثم نفث علي وجوههم هذه النونية وفيها ضرب ضربته القاضية علي رغبات عباد الدنانير وهواة الجاه الكاذب

قالوا لي اركن لأرباب السلاطين * تحز جوائز تغني كل ما حين
فقلت حسبي ربي واكتفيت به * ولست راضي غير العلم والدين
ولست أرجو ولا أخشى سوى ملكي * لأنه جل يغنيني وينجيني
أني أفوض أحوالي لمن عجزوا * عن حال أنفسهم عجز المساكين
إن كنت ذا حزن أو كنت ذا وطر * دعوت ذا العين ثم الراء والشين
وهو المعين الذي لاشيء يعجزه * وهو المكون ما شآ أي تكوين
إن شاء تعجيل أمر كان ذا عجل * أو شاء تأجيله يبطأ إلي حين
يا من يلوم فلا تكثر ودع عذلي * إذ لست من فقد تى الدنيا بمحزون
إن كان عيبي زهد في حطامهم * فذاك عيب نفيس ليس يخزين

هذا هو جواب الشيخ أحمد بَمْبَ فانظر فيه صورته وصُور بعض شيوخ هذا العصر فتراه يهرب من الدنيا وهم يُقبلون إليها مسرعين فسبحان الباري إنه يخلق ما يشاء ويختار.

{بعد وفاة أبيه}

قلنا أولا إن الشيخ تولى بالتدريس في حياة أبيه وكذلك بقي في الوظيفة نفسها بعد وفاة أبيه سنة وزيادة وكان في هذه المدة مدرِّسا صِرفا ومع ذلك كان دائم التطلع إلي علوم القوم أي علماء التربية الروحية وحُبِّب إليه التجرد والسياحة كدأب القوم فكان ينوع في عباراتهم ويُبرز المعاني الدِّقاق في التنويع ثم استفحل الأمر عليه مِن ثم دعي أصحابه قائلا: ألا من كان صحبنا للتعلُّم فلينظر لنفسه وليذهب حيث شاء وليأو لجنسه ومن أراد ما أردنا فليسر بسيرنا وهناك اضطرب الأصحاب بين من يذهب ومن يبقى والشيخ ساكت لا يسأل ومصمم لا يتردد حتى آل الأمر إلي ذهاب الجل وبقاء القل.

{شروعه في التأليف}

وفي حياة أبيه شرع في التأليف في العلوم النقلية الشرعية فنظم ورقات الإمام السنوسي أي أم البراهين فتلقاه والده بالقبول وصار يُقرأ به عن النثر يقول الشيخ الخديم إن والده أقرأ ذلك النظم ابنيه {السيد محمد الخليفة} الشهير ب {سَرِجْ جُرُ} و {السيد أحمد مختار} الشهير ب {سرج عافيه} ونظم بداية الهداية للإمام الغزالي وسمي النظم بملين الصدور سنة

ألف وماتين وأربع وتسعين ثم نظم نثر الإمام الأخضري في الفقه وسمى النظم بالجوهر النفيس وألف غير هذه من المؤلفات بعد وفاة أبيه وكذلك استمر يؤلف في شتى العلوم والفنون سيما في علوم التربية الروحية والمدائح النبوية وفيما يجري بينه وبين سيد العرب والعجم عن طريق الكشف وقال رضي الله عنه:

ومن عجائب ابن عبد الله

صلي عليه بسلام الله

باق أضاء أرضه بالأوليآ

إلي القيامة وكل وليا

سنته وصانها عن بدع

تبشيره خديمه بفاصدع

أمره صلي عليه الله

في الآل والصحب ومن والاه

بأن يعلم المريدين ومن

يقبل منه النصح من أهل الزمن

وأنه أوصله عن تخليه

لربه مبشرا بتحليه

ويشير في البيت الثالث من هذه الأبيات إلي أنه لما كمُلت له وراثة النبي صلي الله عليه وسلم بإكمال الله تعالي وزاده بسطة في العلوم والحكم

والأنوار والأسرار وقواه علي حمل أعباء الولاية الكبرى أمره بالصدع بأمره ودعوة الخلق إلي اللياذ به فقال رضي الله عنه:

نزع مـــن يفعـــل ما يشـــآ العلـــــوم *ويمنهـــا لـــي بكونـــــــه العليـــــــــــم

حفظت مــا صيـــــن عـــن الدفاتـــر *فـــلا تكـــن عـــن خدمتـــي بفاتـــــــر

أعطـــاني المعطي بجـــاه المصطفي * صلـــي عليـــه بســـــلام اصطفـــــي

بركـــــــــة القـــــــرءان والعلـــــــــوم * وقـــــــاد يمنهـــا إلــــــي تعليمـــــي

إلـــي تواليفـــــى يقـــــــــود اللـــــــــه *أســـــــــرار لا إلـــــــــه إلا اللـــــــــــه

نـــــزع لـــي وليـــس منـــــي ينـــــزع *وإننـــي بـــــــــــه حمـــــــي ومفـــــــــزع

ذلـــك فضـــل اللـــــه يؤتيـــــه الـــذي *يشـــاءه وقـــال لـــي قـــــل بـــي لـــــذ

أي أمرني ربي بأن أصرح بأنني ملاذ وحمى ومفزع فمن أراد الخير في كلتي الدارين فليلذ بي.

:وقال رضي الله عنه

*فـــــــاز مريـــد قـــــــــــاده الله إلـــي *تعلـــــــــق بـــي ويحظـــــــى بالإلـــى*

فـــــــاز مريـــــد لـــم يمـــــــل منـــي *بمـــا بـــه يحـــــــوز خيــــــر مـــــــن

*فـــاز مريـــد لاذ بـــي بما يفـــــوق *ما ظنـــه بالله جـــــــاري الرفيـــق*

كـــل مريـــد بـــي يلـــــوذ يسعـــــد *وإنـــــــــــــه مــــــــن الأذى مبعـــــــــد

*لكـــل مـــن بـــي تعلـــــــــق نجـــــاه *من كدر الدنيا وفي يـــوم النجاه*

:ثم بين أن مؤمني الجن في عصره تعلقوا به فقال رضي الله عنه

*بـــــي تعلـــــــــــق الذيـــــــن أسلمـــــــــــــــوا *من جن عصري دون من لم يسلموا*

:ثم حذر من تعلقوا به من الإدبار بعد الإقبال وقال

*ويل لمن عني تولي مدبرا *بعـــد الإرادة وعنـــي صبرا*

ثم بين لهم حد الإرادة وما يريد المريد فقال

*حـــــد الإرادة بقـــــــــول الســـــــــاده * تـــرك المريـــد مـــا عليـــه العـــــاده*

ثــم رجوعـــــــــــه إلــي المعتـــــاد * قبــــل وصولــــــــــه

كالارتـــــــــداد

*إذ المريـــــــــد لا يريـــــــد أبـــــــدا * غير رضي الرحمان حيث قصدا*

ثم كتب إلي جميع المريدين تلك النصائح الثمينة فقال:

{إنه مني إلي جميع المريدين والمريدات سلام طيب يعصم الجميع من المريدين والمريدات ويدخل الجميع في السلامة والعافية في الدنيا والآخرة بجاه رسول الله صلي الله تعالي عليه بآله وصحبه وسلم وبارك أما بعد. فإني أمــــرت كل من تعلق بي لوجه الله تعلي الكريم بتعلم العقائد والتوحيد وأحكام الطهارة والصلاة والصيام وغيرها من كل ما يجب علي كل مكلف وإني تكلفت لكم ولكن بتواليف يكون فيها جميع ذلك لوجه الله تعلي الكريم والسلام عليكم ورحمة الله تعلي وبركاته}.

تمت الرسالة ونتمنى أن ننبه شيئا علي الأبيات السالفة الذكر وذلك أن الشيخ رضي الله عنه ذكر فيها بعض ما أنعم الله عليه من الكرامات الدنيوية والأخروية تحدثا بالنعمة ذلك التحدث الذي أمرنا الله تعالي بقوله {وأما بنعمة ربك فحدث} وثبَتَتْ فيه إي في التحدث السنة واقتدى بها السلف الصالح وقد قال الإمام السيوطي في منظومته للمجددين ما نصه:

وهذه تاسعة المئين قد

أتت ولا يُخلف ما الهادي وَعَدْ

وقد رجوتُ أنني المجدِّدُ

فيها وفضل الله ليس يُجحَدُ

وشبيه بهذا قال أمثال السيوطي ومن هم فوق السيوطي في الرتبة الدينية من عهد النبي صلي الله عليه وسلم وهلم جرا سيما فالشيخ أحمد بَمْبَ مع ما عُرف منه من الزهد عن الدنيا الدنية لا يتكلم بمثل هذا إلا بإلهام من الله الذي إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح.

{تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني}

وسيتضمن رحلة الشيخ البحرية وثناء العارفين بالله له وغير هذا إن شاء الله.

{حياة الشيخ أحمد بَمْبَ}

رضي الله تعالي عنه آمين

الجزء الثاني

بقلم محمد المصطفى آن

سادتي القراء قد قطعنا شوطا غير قريب في كتابة هذه العجالة دون أن ألفِّتَ أنظارَكم إلي ما نبهتكم إليه في المقدمة من توجيه الشيخ مريديه إلي المثل الأعلى ودائما إلي المثل الأعلى لكنني أظنكم فهمتم مضمون رسالته التي وجهها إلي المريدين والمريدات وما تضمنته من الحض علي التعلم كما أنني أبادر لأقول لكم هكذا كان يوصي أتباعه بالعمل وبالكسب من عمل اليد وهكذا كان يرشدهم إلي الشؤون الاجتماعية فإليكم الدلائل

{في ميدان العمل}

فالشعب السنغالي المستقل حديثا أحوج ما يكون في بناء مستقبله بواسطة الأيدي العاملة من أبنائه فإن هذه الأيدي القليلة الموجودة لو قدَّرنا أنها قد قسمت إلي عشرة أقسام فالأقسام السبعة من تلك العشرة تكون من المريدين أتباع الشيخ أحمد بَمْبَ سواء من النجارين أو الحدادين أو من الزراع الناجحين فالأغلبية منهم كما صرحت فهذا شيء تعرفه الحكومة ويعرفه المهاجرون البيض سوء من الأوربيين أو من العرب كما يعرفه المصنفون من أبناء الشعب الذين ليسوا من المريدين أتباع الشيخ فإنكم يا قرائي لا أشك أنكم تدركون جيدا بأن زراعة الفُستق من أهم محصولات بلادنا فإن كنتم تعلمون ذلك فلا تقصروا عن التدقيق فإنكم إذا تدركون بأن الشيوخ المتعلقين بالشيخ أحمد بَمْبَ أكثر اهتماما بهذه الزراعة من غيرهم فإن هذا الاهتمام قد بلغ بهم إلي حد أنهم يستوطنون القرى الريفية أكثر فصل الخريف ولهذا فإن أتباعهم كما هو معروف ينسجون علي منوالهم أضف إلي هذا بأن دَكَارْ عاصمة سنغال إداريا وصناعيا وما فيها من الصناعات اليدوية المتعددة الأنواع فإن أكثر أصحابها فمن المريدين أتباع الشيخ بَمْبَ أقول هذا نُصرة للحق وإقرارا للواقع فإن هذا الحق وهذا الواقع بين ظهرانينا كالشمس في رابعة النهار.

{في ميدان الشؤون الاجتماعية}

فإني والله كنت أتمنى لو كان الشيوخ الذين ليسوا من المتعلقين به قد أدركوا ما عليه أتباع الشيخ من الناحية الاجتماعية إذا لحصل لهم الارتباك

لما يشهدون من فرط التخالف وذلك مثلا أن تلميذا هنا لا يقبل أن يحترم شيخا يُخالف شيخه في الورد سوى أتباع الشيخ بَمْبَ فإنهم يحترمون كل مرشد ديني سواء كان هذا المرشد تجّانيًّا أو قادريا أو شاذليا أو كتانيا.

كنت أتعجب في امتناع الذين ليسوا متمسكين بطريقته عن أداء الفريضة في مسجد بناه الشيخ أو بناه أحد مريديه فكأن الممتنعين ينظرون إلي المساجد لبانيها لا إلي أنها لله فالناس فيها سواسية كأسنان المشط لا لأحد ملك عليها أو خصوصية كنت أتعجب من هذا وأتعجب من تمرد جهلائنا تمردا يفوقون فيها جُهلاء العالم نعوذ بالله كنت سافرت إلي {تِوَاوُنْ} في العام الذي تولى فيه السيد الحاج عبد العزيز سِهْ الخلافة التجّانية فألفيت بعض مريدي الحاج الفاضل خليفة الشيخ بَمْبَ الحالي يخدمونه أمرا من شيخهم ففرحت لهذا المرأى فقلت إن السيد الحاج عبد العزيز سِهْ في صلاحه وتواضعه ستكون خلافته سببا للتقارب بين المريدين والتجّانيين فأجابني مواطن تِوَاوُنِيٌّ لكن الشيخ عبد العزيز قد أخجل التجانيين لأنه يفقد الخدام حتى يستخدم المريدين وهو خليفة فهنا استرجعت ولكني يا قرائي أطلق لكم العنان لتنظروا إلي أي حد ينتهي إليه سفه هذا الرجل وإلي أي تكييف نكيف فيه جهلاءنا في تمردهم أيضا لأني أسترسل لأكتب لكم كيف آل أمر الشيخ بعد أن رقى إتباعه في الميادين المذكورة الثقافي والاجتماعي إلخ...

{ولما كان حال الشيخ هكذا}

ولما كان حال الشيخ هو توجيه جل عنايته إلي ترقية أصحابه ماديا ومعنويا وفي شتى الميادين أحبه الناس وكثر أتباعه كثرة حسده عليها ذوو الطبائع السافلة وبدءوا يتفننون في أساليب الوشاية بين الشيخ والحاكم الفرنسي الذي في {اندر} وراجت هذه الوشاية لأنها وجدت آذانا صاغية من لدن الاستعمار فكيف لا والاستعمار لا يطمئن إذا رأى أبناء الشعب يخدُمون الشعب فكيف لا والاستعمار لا يرضى أن يرى الشعب يتوجه نحو الهداية بخطى سريعة ثابتة كما كان ينادي إليه الشيخ أحمد بن محمد بن حبيب الله البكي خادم نبي المكي رضي الله عنه ومن هنا بدأ الحاكم يتأثر بخرافات الوشاة فعلم الشيخ بذلك فوجه إليه رسالته التاريخية التي هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه محمد بَمْبَ السلام علي من اتبع الهدى إلي أمير اندر أما بعد: فاعلم بأني لا أكتب ولا أقول بلساني ما لم يكن في قلبي فاليوم لا تسمع كلام من يطلب الدنيا بالنميمة والافتراء والكذب والخيانة فيّ وأما عدم مجيء إلي اندر فما أوجبه شيء يوجب سوء ظنك بي فأحسن ظنك بي فإني لا أطلب من الله الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يكن له كفؤا أحد إلا السلامة والعافية وعبادته تبارك وتعالي بسنة رسول الله صلي الله تعالي عليه بآله وصحبه وسلم وبارك فمتى رأيت كتابي هذا الذي كتبته بيميني فطب نفسا وقر عينا ولا تلتفت إلي من يفسد بيننا فمن قال لك إني مخالف لسنة رسول الله صلي الله تعالي عليه بآله وصحبه وسلم وبارك فقل له كذبت

لأني ولله الحمد والشكر لا حاجة لي في غير متابعة رسول الله صلي الله تعالي عليه بآله وصحبه وسلم في كل ما يليق بي فليكن في كريم علمك أيها الأمير أني لا يخالف قولي فعلي وإني عفوت عنك وعن جميع وعن جميع من والاك فلا تلتفت بعد هذا الكتاب إلي واش ولا إلي حاسد.

والسلام علي من اتبع الهدى

مصلحة المدخرات سِين لو

م ينيه 1908

وقد قلنا فيما سبق إن الوشاة قد تفننوا بكل ما لهم من قوة وخبرة في أساليب الوشاية حتى تأثر الحاكم الفرنسي بذلك وكذلك بقي الوشاة في حالتهم تلك فكتب الشيخ رسالته التي مر ذكرها آنفا وقد سمعتم أيها القراء عبارة هذه الرسالة ولعلكم تدركون ما تسببه هذه الرسالة من سخط لدى الحاكم الفرنسي إذ كنتم أعرف الناس بفرنسا المستعمرة المستبدة التي تطغى في الاستبداد وتشرد أبناء الشعب المحتل وتُمعن في التشريد.

فرنسا هي التي شرع حاكمُ مستعمراتها آنذاك يرسم الخُطط ليُخرج هذا الرجل الصالح هذا المربي الكبير هذا الوطني الغَيور خادم رسول الله صلي الله عليه وسلم من داره ومن بين عشيرته إلي المنفى لأن الشيخ يُرشد مواطنيه إلي سبل الرشاد هذا ما يسخط الاستعمار ومن ثم بدأ الحاكم يستدعيه للمثول بين يديه واستبطأ الشيخ عن الحضور فظنوا بطئه امتناعا

ووجد الوشاة معتمدهم الذي أوهى من نسج العنكبوت فأرؤسل الحاكم زمرة يأتون معه إليه وودَّع الشيخ عياله ومريديه.

{خروجه من داره}

فخرج الشيخ من داره في {جلف} يوم السبت ثامن عشر من صفر عام ألف وثلاثة عشر وصادف خروجه خروجَ القائد الفرنسي بجيشه من مدينة لُكَحْ فالتقيا عند جِيوَلْ عشية ذلك اليوم ويقول الشيخ بَمْبَ إنهم لما وصلوا وقت العصر أتاني القائد الفرنسي يريد مكالمتي فحولت وجهي عنه فقرأت البسملة خمسين مرة فإذا القائد قد لان وهدأت شوكته بعد أن كان غضبا ثم خرج مسرعا إلي حاجته أهــ. ثم ذهبوا به إلي {اندَرْ} ووافقوا علي تغريبه ومنها إلي {دكار} وحينذاك قال قصيدته التي مطلعها:

أيس مني الله عند جيول إلخ ... وكان الشيخ في يوم خروجه من {اندَرْ} إلي {دكار} صائما ووصلوا إلي {دكار} قبيل الغروب وشرع الشيخ يتهيأ للفطور فإذا رسول يأتيه يستدعيه وسار معه فانطلق به إلي بيت يستعاذ منه شديد الظلمة والحرارة والنتن ويقول الشيخ إنه شرع يسترجع وبات يحيي ليلته بقراءة سورة البقرة وسورة آل عمران ويتبعهما بالصلاة علي مخدومه قال فصرت مطمئن البال ألا بذكر الله تطمئن القلوب فقال مشيرا إلي تلك الليلة:

نفى لغيـري الله في{اندكار} * كـل أذى لـي جـــره المكــار
إذا ذكـــــرت ذلـك المبيتــا * وذلـك الأميــــــر والتثبيتـــا
طـارت إلي الجهــاد بالأرماح * نفسي ولكـن ذب عني الماحي

{ركوب الشيخ في الباخرة}

كان ركوب الشيخ في الباخرة من كدار يوم الجمعة أول يوم من الربيع الثاني لكن إلي أين؟ والشيخ لم يعرف كما لم يعرف أحد أين يذهب به الاستعمار الغاشم لكن صادف أن كان في الباخرة رجل وُلُفِيٌّ من سَالُم وقد أهدى إلي الشيخ هدية سنية وقال له إني سمعت بأنك تأتي في الباخرة يُراد بك {كَبُكْ} ولذلك أتيت لأزورك ويقول الشيخ فمن هذا الرجل سمعت اسم {كَبُكْ} وعلمت الجهة التي تُراد بي ثم مروا ب {كَرَمْبَصَا} وذكر أنه أخذ حقة من المسك كانت عنده ليرش بها ثيابه وكتبه فقيل له ألقها في البحر قال فلم أتردد بل ألقيتها فلما رست السفينة دخل جمع من إخواننا المسلمين سمعوا بي ليسلِّموا علي فكل من سلم دفع لي حقة من المسك كلهم أو جلهم وفي ذلك يقول:

دعاني الرحيم عند{داوم} * له بما أغنى عن التساوم

ثم ذهبوا به إلي كَبُكْ ومنها إلي جزيرة أخرى وكان يسكنها كثير من الوثنيين تابوا علي يديه وهذا أيضا يُسخط الاستعمار رأي أن يرى رجل الدين ينصر الدين إذا أقام وإذا ارتحل كما كان هدف الشيخ الأول وقد نصب نفسه خادما للرسول وخدمة الرسول طبعا لا تكون إلا في نصرة الديانة الإسلامية في شتى نواحيها كما كان يفعل الشيخ محمد بَمْب وأخيرا رده الاستعمار إلي وطنه مُرغما بعد أن شهد له من خوارق

العادات ما لو شهدها الشيوعيون الماديون لأقروا بوحدانية الله تعالي وأصدر الاستعمار مرسوما يقول فيه: كل من أفشى ما شهدوه من الخوارق في الشيخ يُحكَم عليه بالإعدام أو بالأشغال الشاقة المؤبدة ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين.

{عودة الشيخ إلي سنغال}

رجع الشيخ من المنفى ومدةُ غيبته البحرية هذه ثمانية أعوام إلا أربعة أشهر وأثار رجوعه دويا كبيرا في العالم الإسلامي كله ثم توافد عليه الناس من كل فج ومن كل قطر إسلامي من المغرب العربي ومن الحرمين الشريفين أمثال المَوْلايْ أحمد التِّبْرِ الذي من سادات شرفاء المدينة المنورة والذي قام بطبع كتاب الشيخ المسمى بمسالك الجنان في طبعته الأولي وأمثال السيد حمزة دَفين رفسك الذي ينتسب إلي الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان حمزة هذا قد أتى من مكة قاصدا الشيخ وكذلك كان يزدحم علي الشيخ السادةُ العلماء من الجمهورية الإسلامية بين من يريد معالجةً نفسية من نفحات الشيخ ومن يريد منحة مالية كل ذلك يُنال من الشيخ بوفرة فالشيخ كما قال فيه الشيخ سيدي باب الأبْيَارِيّ في بيته:

إنما الشيخ نعمة أولاها
هذي الخلائق كلها مولاها

ثم إن الشيخ توجَّد إلي تربية النفوس فوق ما كان عليه والجموع الغفيرة تتزايد عليه ولكن هل فكر الاستعمار المُجرم في تغريبه هذه المرة مع خوفه

من أتباع كثيرين لفرد من الشعب المحتَل ومع تزايد هؤلاء الأتباع للشيخ فالجواب في هذا كله لا فالأشياء التي وقعت بينه وبين الاستعمار حتى طم شيء علي شيء تقول لا ولسان حال الشيخ أيضا ينشد لفستعمار بيت الإمام محمد البوصيري:

وقاية الله أغنت عن مضاعفة

من الدروع وعن عال من الأطم

{شهادة العظماء له بالفضل والسبق}

وأولهم القاضي مَجَخَتِ كَلَ أستاذ اللغة العربية وحامل لواء الشعراء في عصره والذي مر ذكره في الجزء الأول من هذا الكتاب فإنه كتب إلي الشيخ في إحدى المرات رسالة شعرية وهذا البيت مطلعها:

مني لأحمد بمْبَ التارك الناسي

غير الإله فأمسى سيدَ الناس

ومنهم الشيخ عبد الله بن عبيد الرحمن العلوي العارف بالله وهو كان فانيا في حب الشيخ وألف في كراماته كتابا سماه {النفحات المسكية في الخوارق البكية} ومنهم الشيخ سعد أبيه المتفق علي صَلاحه ومن كُبَّار العارفين بالله تعالي فإنه كتب إلي الشيخ لما رجع من غيبته البحرية ومثل الشيخَ في الرسالة ببيت قديم ها هو ذا:

حلف الزمان ليأتين بمثله

حنثت يمينك يا زمان فكفِّر

:وله أبيات أخرى قالها في حق الشيخ وهي هذه

معادنه أجلته منه النصارى

فأصبح في تلك البحور نضارا

ومن صدف البحر المحيط بدا فمن

تلألؤه فيه العيون حيارى

:ومنهم الشيخ سيدي باب وهو الذي قال في الشيخ

إنما الشيخ نعمة أنعم الله بها آية من الآيات

علمته العباد شرقا وغربا

عند حضرها والبدات

:وقال أيضا فيه

وما عيبه إلا عبادة ربه

ونفع الورى في صبحه ومسائه

وما قاله كُبَّار العلماء الروحانيين في الثناء علي الشيخ لا يسعه إلا المجلدات كما هو معروف ومشهور وقد اكتفينا بذكر هؤلاء لكونهم في طليعة المناضلين لنصرة الإسلام في إفريقيا الغربية في أوائل القرن العشرين.

سادتي القراء قد مضي ما يقرب نصف قرن ونرى كل يوم يتزايد شأن الشيخ أحمد بَمْبَ رفعة وانتشارا لكن أين الاستعمار الذي حارب دعوته وعامله كل معاملة الجفاء؟

الجواب: ذهب وذهب إلي غير رجعة وصار نسيا منسيا وأعمال الشيخ

باقية تزداد رسوخا انظروا حكمة قوله تعالي {والعاقبة للمتقين} صدق الله العظيم.

{وفاة الشيخ}

بعد أن استفاد العالم الإسلامي بمعارفه وإرشاداته ونال كل ما حُظِيَ به منه صعدت روحه الطاهرة إلي بارئها ليلة الأربعاء في المحرم سنة ألف وثلاثمائة وست وأربعين هجرية وعمره أربع وسبعون سنة فجزاه الله عن الإسلام خيرا آمين.

{اعتذار}

قد أتينا علي ما أردنا جمعه في هذا السفر المتواضع بعد أن كنا مقرين لأنفسنا بالعجز لكن نرجو أن نكون قد فتحنا بابا يُدخَل فيه لتعظيم رجالنا العظماء مع أننا نعلم أن شعبنا هذا لم يعد ناضجا بعدُ ليهتم بتعظيم أبنائه البررة ولكن يُرجى أن يأتي يوم يكون فيه هذا الشعب كبقية الشعوب العريقة الراقية في تعظيم أبنائها الذين كافحوا لأجلها.

محمد المصطفى آن دكَار 27/4/1961